نقد المركزيّة الذّكوريّة في روايّة خارج الجسد لعفاف البطاينة

The criticism of masculine culture in of "Outside the Body" for the writer Afaf El Bataina.

أ. نوارة قريد‡

تاريخ الاستلام:17-11-2019 تاريخ القبـول: 13-06-2021

ملخّص: وقفت هذه الورقة البحثيّة عند نموذج من الرّوايّة النّسويّة للكاتبة الأردنيّة عفاف البطاينة في روايتها خارج الجسد، هادفة من وراء اختيار هذا النّموذج إلى محاولة الولوج لعالم المرأة / الكاتبة العربيّة التي استطاعت أن تخترق التّابوهات التي ظلّت ولزمن غير بعيد محظورة ولا تتناول إلاّ بحذر رغبة منها في مراجعة تلك التّرسبات التي ترسخت عن قصد أو عن غير قصد في ذاكرة المجتمع العربي /الشّرقي عن المرأة في مخياله عنها. وقد استعانت الدّراسة بالمنهج الوصفي التّحليلي، وخلصت إلى كشف رغبة الكاتبة العربيّة في تقويض تلك الثّقافة الذّكوريّة الشّرقيّة، وقد أظهرت الآخر/الرّجل/الشّرقي بصورة المعادي لها والنّاقم عليها في مقابل جعلت الآخر/الغربي المنقذ الذي أتاح لها تسهيل مهمتها الإصلاحيّة، بعد أن جرّدها من هويتها العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الآخر، الثّقافة الذّكوريّة، المرأة، الهويّة الأنثويّة، خارج الجسد.

Summary: This analytical study made a spot light on the feminine novel of the writer Afaf El Bataina in her novel Outside the Body, aiming at accessing the women's world. The arabic writer who tried to break many taboos, which was for a long time discussed carefully or not discussed at all. The writer tried to review and creticise those remmant, which was stuck on the eastern /Arabic society's memory, in its perspective to see woman. Espec ially reviewing how this society pictures woman disfigurally.

‡ جامعة علي لونيسي البليدة 2، الجزائر، البريد الالكتروني:nouara.arabe@gmail.com (المؤلّف المرسل)

This study was based on the descriptive analytical method and which found the writer's desire to undermine that masculine/eastern culture and whome she presented the easter man as her disgruntled enemy. Thus, it was the reason for her to run to the other's arms/ the western man. She found in him liberation, democracy and the way that would help her in her mission to reformation and proving herself after he stole both her arabic identity and belongin.

KEY WORDS: the other, the woman, The masculine culture The feminine identity, Outside the body.

المـقدّمة: وقفت هذه الدّراسة الوصفيّة التّحليليّة عند نموذج روائي نسوي للكاتبة الأردنيّة عفاف البطاينة في روايتها خارج الجسد، التي سعت من خلالها الكاتبة لنقد الثّقافة الأبويّة المهيمنة في مقابل إثبات الذّات/ الأنثى وستحاول هذه الورقة البحثيّة الإجابة على الإشكاليّة الآتيّة: كيف نظرت الكاتبة إلى الثّقافة الذّكوريّة الشّرقيّة؟ وتتدرج ضمن هذه الإشكاليّة جملة من التّساؤلات: كيف صورت الكاتبة الآخر/الرّجل؟ كيف نظرت إل الثّقافة الشّرقيّة السّائدة؟ كيف نظرت إلى الآخر/الغربي؟ وهل استطاعت اقتراح البديل؟

1-الكتابة النّسويّة وتمثيل الهويّة: أصبحت الكتابة من الانشغالات الأنثويّة التي تسائل بها الأنثى عالمها وتدافع بها عن كينونتها ووجودها، وعن حقوقها الإنسانيّة المسلوبة، لتغدو الكتابة النّسويّة، والقول لعبد الله اراهيم «كشفا لما غيبته الثّقافة المهيمنة ودخولا جريئا الى المناطق الأنثويّة التي صمتت عنها وتوسيعا للمناطق المجهولة فيها ثمّ الذّهاب الى الشّك في المجهولات القابعة في طياتها حيث جرى تحريف لمفهوم الأنوثة وعدم الأخذ بطرائق التّمثيل اللغوي التي قامت بها، فالكتابة الأنثويّة لا تطرح نفسها نقيضا إنّما رديفا كاشفا لكل ما جرى إهماله عن قصد أو غير قصد في الثّقافة الأبويّة، فتكون الكتابة الأنثويّة كتابة اختلاف وليست كتابة تضاد» (ابراهيم،2008)[1].

استطاعت الكتابة النّسويّة أن تقتحم جدران الصّمت والنّسيان، فلم تكتف بالتّعبير عن نفسها وطرحها لقضايا المرأة فحسب بل تجاوزت ذلك الى الآخر الذي يختلف عنها ويمارس سلطته عليها، سواء كان هذا

الاختلاف من حيث الجنس أم اللون أم العادات والتّقاليد أم القيّم أو الأفكار أم الدّين. « فالمرأة لا تعرف بكونها نقيضا للرجل، ولكن كونها مختلفة عنه وهذه المراحل الجديدة في التّفكير خلخلة من هيمنة الفكر الأبويّ التي ترسخت فرضيّاته في اللاّوعي الجماعي بوصفها ممثلة لكل مظاهر التّفكير السّليم الى درجة لا يتوقع فيها انتظار فكر بديل».(مهيدات ، 2007) .[2]

سعت الكاتبة العربيّة الى تشكل هويّة أنثويّة تختلف عن الهويّة الذّكوريّة بناء على الأدوار والوظائف الاجتماعيّة، بهدف التّميّز عن ذلك المجتمع السّلطوي الذّكوري/ الآخر، والشّك في التّرسبات السّائدة التي تعلي من مكانة الرّجل، واختزالها الى كائن هامشي عاجز، لذا سعت إلى تشكيل هوينها الأنثويّة والتّعبير عن وجودها،« من المعلوم أنّ الهويّة تمثل بؤرة مركزيّة في السّرد النّسوي، سواء على مستوى التّجربة التي تحيل عليها الحكايّة، وتتعلق بوضعيّة المرأة داخل المجتمع، والتي تميّزت بالعنف الابستيمولوجي والتّاريخي والتّهميش الاجتماعي وسوء التّمثيل، أو على مستوى التّخييل السّردي الذي يتمثل بالبحث عن هويّة بديلة، متحررة من سلطة أشكال التّمثيل الذّكوريّة المهيمنة » (بوعزة ، 2017) [3].

اعتبرت الرّوايّة هي الميثاق الأنثوي الذي تسعى من خلاله المرأة التّعبير عن وجودها المؤنث والإفلات من تسلط الثّقافة الذّكوريّة، باعتبارها الجنس الأدبي الأكثر تعبيرا عن العلاقات الإنسانيّة المعقدة، سواء كان ذلك على صعيد الذّات أم على صعيد فهم الآخر، لكن ظلت – واقصد المرأة – على الرّغم من ذلك على الهامش سيما فيما يتعلق بالتّجربة مع الآخر الغربي و مدى تأثرها بمقولاته إيجابا أو سلبا وذلك لأنّ نظرة المجتمع لها ما تزال تقليديّة الطّابع، فهي الطّرف الأضعف العاجز عن تمثيل نفسه والذي ينبغي أن يمثل .(ابراهيم ، 2008) .[4]

تعدّ روايّة " خارج الجسد "نموذجا «للنقد الجذريّ لفكرة الأبوة الشّرقيّة القائمة على القهر المتعمّد، للأنثى فالمسار اللولبي لسيرة"منى" وتحولاتها النّفسيّة والفكريّة والجسديّة كشف طبيعة الاكراهات التي تعرضت لها في مجتمع يتخيل تجربة المرأة مهما كانت طبيعتها ودرجتها، خطرا يهدد أركانه ومقوماته فيمارس قمعا مركبا ضدها ليحول دون زحزحة تصوراته الطّهرانيّة عن نفسه.» (ابراهيم، 2008)» .[5]

نجمت هذه السّلطة الذّكوريّة/ الأبويّة عن تلك التّراكمات والتّرسبات التي تناقلتها الأجيال أباً عن جد وتتجسد من خلال سلوكيات الأفراد، بدءا بالأب «الذي يمارس تسلطه وسيطرته على أفراد العائلة، وهو ما

يلزم خضوع الأم والأبناء، وطاعتهم له طاعة عمياء وصولا إلى سيطرة الولد على البنت حتى ولو كانت أكبر منه سنا»(الحيدري ، 2003) [6].

والهدف من هذه السّيطرة الذّكوريّة / البطريركيّة هو جعلها حقا مشروعا، وأكثر تغلغلا في المجتمع الذي كرّس لفكرة الأبويّة المتوارثة، المرتبطة بكل أشكال القهر والتّسلط، شخصيّة البطلة "منى" الفتاة الأردنيّة المنحدرة من عائلة ريفيّة فقيرة خاضعة للسلطة القبليّة والسّلطة الذّكوريّة/ الأبويّة التي تكرّس لدونيّة المرأة وعفتها مرتبطة بمدى تطبيقها وامتثالها لقوانين القبيلة/ الآخر السّلطويّ التي حكمت على منى بالسّجن في بيت أهلها بحجة الحمايّة والدّفاع عن الشّرف، بعد لقائها بالشّاب "صادق" حب المراهقة في مكان عمومي « يفسّر هذا اللّقاء العابر في مقهى، ردود فعل الأب عليه ومعه الأسرة والقبيلة وكل التّحولات اللاحقة في حياة "منى" ويفضح بنيّة الثّقافة الأبويّة/القبيلة التي تقوم على فكرة الذّعر من الأنوثة واستئصال مقوّماتها بدواعي الشّرف» (ابراهيم 2008)[7].

صورت الرّوائيّة هذا اللقاء بدايّة محطة جديدة في حياة "منى"، واعتبرته نقطة التّحول التي كشفت وفضحت تلك النّظرة الدّفينة والكامنة في المجتمع الشّرقي/ الآخر / الأبوي / الذّكوري، الذي يبيح لنفسه ما يحرمه على المرأة الأنثى / منى، التي تطلق صرختها قائلة «كيف يكون خروجي مع صادق سوادا بينما انتهاك والدّي وعامر وعبود لفروج نساء كثيرات أمرا طبيعيا»(البطاينة، 2004) [8].

تصور عفاف البطاينة على لسان بطلة روايتها رحلة التّعذيب بلا شفقة ولا رحمة التي مارسها عليها الأب/ السّلطة وبمشاركة ذكور العائلة الخطائين الذين لا يحاسبون اللاهثين وراء إشباع رغباتهم، باستثناء عمها سالم الذي يعد ملجأها الذي تحتمي به حيث تحرم "منى " من معرفة نتيجة الامتحان التّوجيهي ومن الجلوس مع العائلة على مائدة الطّعام، تتحول إلى خادمة في منزل والدّها، إضافة إلى العنف النّفسي واللفظي والجسدي والإذلال خصوصا من طرف ذلك الأب الذي لا يتوانى لحظة في شتمها ونعتها بأفظع الشّتائم الجنسيّة، وضربها بطريقة وحشيّة، كما حرمها من زواجها من حب مراهقتها صادق، تقول منى «أصبحت جاريّة والدّي وجاريّة جواريه وعبيده، التّلقي أوامر فرك البلاط، و تنظيف الحمامات وكنس محيط المنزل، صرت أجلس في المطبخ لأكل فضلات العائلة، وكأنّي كلب نجس، إحساسي بقذارتي وانعدام إنسانيتي كان يتربع بين عيني وفوق رأسي، كلما شاهدت عائلتي حول التّلفاز، انكمش على نفسي وأصغر في عيني» (البطاينة ، 2004) .

صورت الرّوائيّة البطلة / منى في نظر الجميع آثمة أخلاقيا وعوملت بقسوة، وتحولت إلى خادمة تقتات على بقايا طعام العائلة، وكأنّها طلاك لا يأتيه الإثم بين يديّه، فهي طاهرة دنستها أياد بشريّة، فقد

« أجبرت منى على قبول تهميش مضاعف فلم تكن أنثى اختزلتها ثقافة القبيلة ووضعتها في موضع دوني فقط، وإنّما اختزلت الأسرة وشخص الأب وحبسها في المطبخ أسيرة وخادمة، فجرى تحول جذري في وضعهاّ، فقد كانت من قبل مكبلة بثقافة العزل وتقييد العلاقات، وأصبحت مقيّدة بحيّز ضيّق، فكانت تشارك الأسرة فإذا بها تعود وتجبر على الاقتيات من فضلات الآخرين، فلقد لحق العقاب تلك الشّراكة العرجاء، ومزق الرّوابط بين أفراد الجماعة التي أجبرت أن تمتثل لمفهوم العائلة» (ابراهيم ، 2008) .[10]

ترسم الرّوائيّة صورة قاتمة للأب/السّلطة/ القسوة والعنف، الذي اتخذ من ذلك اللقاء البريء ذريعة لممارسة سلطته وبسط سيطرته، ومواصلة حرمانه العاطفي، الذي يخلو من أيّة عاطفة، فهل هذا يبيح للروائيّة/ منى أن تكرس لفكرة التّمرد؟، تصور منى هيمنة الأب «إذ أنّه المركز الذي تنتظم حوله العائلة بنمطها المدني الطّبيعي، وتبعا لذلك فإنّ العلاقات القائمة بين الحاكم والمحكوم وبين الابن والأب هي علاقة عموديّة وفي كلتا الحالتين تقف إرادة الأب على أنّها الإرادة المطلقة » (شرابي ، 1993) . [11]

يظهر الأب في صورة المركز المهيمن الذي يخضع لسلطته كل أفراد الأسرة فالعلاقة قائمة بين طرفين المركز والهامش فـ «الذّهنيّة الأبويّة أوّل ما تتمثل في نزعتها السّلطويّة الشّاملة التي ترفض النّقد ولا تقبل الحوار، إلاّ أسلوبا لفرض رأيّها فرضا حتى وإن استلزم الأمر العنف والجبر وكل هذا من أجل أن تعرف على حقيقتها التي لا توجد حقيقة غيرها »(شرابي، 1993) .[12] ولكن ما الذي كانت ترمي إليه الكاتبة من خلال رسمها لهذه الصّورة القاتمة للأب وذكور العائلة؟

جعلت الكاتبة/عفاف البطاينة الحديث عن الآخر/الأب/الرّجل في مقابل الأنا المرأة/الأنثى هو حديث عن العلاقة بين طرفين متقابلين ومتضادين أحدهما المرأة/الخاضعة للآخر على اعتبار أنّ التّاريخ والثّقافة المجتمعيّة المتوارثة أباحت له الهيمنة ورجحت له كفة السّيطرة، في مقابل ذوبان وتلاشي الذّات الأنثويّة تحت سيطرته وما هذه الرّؤيّة إلاّ اجترارا لفكرة غربيّة تنادي وتدعي أنّ المرأة مهمّشة.

والمتأمل لعنوان الرّوايّة " خارج الجسد " يلمح تلك النّظرة القلقة النّاقدة لحياة الأنا النّاقمة على تلك السّلطة الذّكوريّة المهيمنة، فتصور حياة المرأة الشّرقيّة المضطربة ورغبتها في التّمرد وكسر القيود والانفلات من

القبضة الحديديّة التي تكبل حريتها وتقيّد أنوثتها، لتعلن أنّها خارج نطاق تلك الذّكورة وخارج سجن الأبوة الذي نجمت عنه سجونا أخرى، « إذا كان النّسق الثّقافي الأبوي يعمل على إسكات الصّوت النّسوي وقمع الذّات النّسويّة في صورة " المرأة التّابعة "، فإنّ رهان الرّوايّة يقوم على خلخلة هذا النّسق وإزاحة ما ينشره من صور وتمثيلات سيئة بتعريّة مفارقاته الابستيمولوجيّة المتناقضة وهو ما يتحقّق حين تسترد المرأة سلطة السّرد والتّمثيل فتقوم بإنتاج خطاب مضاد وفي سياق تجربتها التي سيئ تمثيلها » (بوعزة ،2017). [13]

في سياق التّوتر بين النّسق والذّات، بين ثقافة سلطويّة تعمل على تهميش المرأة واحتقارها، وذات تسعى إلى الخروج من النّسق القمعي والمهيمن لهذه الثّقافة تتشكل هويّة البطلة منى، التي ترى أفراد عائلتها كلهم مرضى «ذكور عائلتي مرضى ويظنون أنّهم محصنون ضد أمراض الغير»(البطاينة ، 2004) . [14]

أرادت الكاتبة أن تظهر شخصيّة المرأة الشّرقيّة المسلوبة الإرادة، والضّحيّة لسلطة ذكوريّة/ أبويّة /الزّوج، جاهلة لكيانها غير قادرة على تحصيل سعادتها ومعرفة نفسها حتى وإن أتيح لها أن تكمّل تعليمها، فهي تظل حبيسة مجتمع ذكوري يفرض عليها أن تمارس حياتها في ظل عاداته وتقاليده الصّارمة وأيّ محاولة منها للتحرر تعتبر مروقا وسفورا، ولتثبت الكاتبة/ منى نقمها على مجتمعها تورد نموذجا آخر شقيقتها منال التي تمنع من الزّواج لمدّة ست سنوات لئلا يذهب راتبها لزوجها، ولكنّها في النّهايّة تجبر على ترك عملها بعد الزّواج لتتفرغ لإنجاب الأطفال.

كما تقف الرّوايّة عند قضيّة الشّرف، وغشاء البكارة الذي صورته بمنظار مجتمعها بأنّه أثمن من حياة من تحمله وبفقدانه تفقد المرأة حقها في الحياة، تقول منى « ماذا لو كنت قد خسرت عذريتي؟ أصبح أقل استحقاقا للحياة، أيصبح من حقّه أن يقتلني؟ إن كان الغشاء سيمنع الرّجال من الزّواج مني فما علاقة والدّي؟ لماذا يعطي لنفسه حق الدّفاع عن غشائي وكأنّه مالكه لماذا يرتبط شرفه وشرف كل العائلة بغشائي؟ كم هو ثمين هذا الغشاء أغلى من حياة إنسان»(البطاينة، 2004). [15]

2-مؤسّسة الزّواج: وشرعيّة تملك الجسد:

أرادت عفاف البطاينة أن تخرق تابوت الجنس الذي يقبع تحت عقد الزّواج، ذلك العقد الذي توقّع به الأنثى سلطة ملكيتها الجسديّة للرجل من ناحيّة، ومن ناحيّة أخرى ترى فيه المخلص من سلطة/ العائلة،

فقد «ظل موقع الأنثى يراوح بين رغبة في الهروب من سلطة الأب بوصفه كابحا لرغباتها الجسديّة، وبين مقاومتها وبين الاستجابة لها إثر بدائل لا تفضي إلى نتيجة تحقّق التّوازن في حياة المرأة » (ابراهيم1988). [16]

على الرّغم من إرغام الأب **منى** على الزّواج من محروس، ورغم ما رأت فيه من ظلم وإجحاف في حقها وقمع لرغبتها، إلاّ أنّه انتهى بها الأمر إلى الرّضوخ والاستسلام وعدته منفذا للهروب من سلطة الأب وذكور العائلة، بالرّغم من كراهيتها الارتباط به ليصبح زواجها صفقة تقايض بها محروس لمواصلة دراستها الجامعيّة التي كانت قد منعت من مواصلتها تقول منى « منذ وضع محروس الخاتم في إصبعي وقيد خشن ضيق يطبق على رقبتي ويمنعني من التّفكير، هذا الكائن الغريب الضّخم والقبيح إلاّ على مستقبلي فكيف لي أن أسير نحو المستقبل، خاتم محروس هو سجن مستقبلي ولكنّه في الوقت نفسه الزّقاق الذي سأهرب عبره من سجن أبي » (البطاينة ، 2004) [17].

ليتحول الزّواج من ميثاق غليظ يصون المرء، إلى حبل يكبل حريّة المرأة ويطبق على عنقها الرّوائيّة تغوص في أعماق المجتمع الشّرقي، باحثة في نفسيّة الرّجل/ الذّكر قبل المرأة، ليتبيّن من خلالها أنّ كل الرّجال ضعفاء من الدّاخل رغم ما يظهرونه من قسوة وما يبدو عليهم من غلظة وشدة، تحكّمهم عقدة الذّكورة والفحولة والخوف من فقدانها تجسّد هذا في شخصيّة محروس، الذي رفضت أن تمنحه جسدها « أقسمت أن تنام قوانين الحلال والحرام في حضن أبي وقبيلتي ومحروس، وعاهدت جسدي ألاّ أحلّه إلاّ لفرد يوقّع عليه لا على الورق، ويوقّع جسدي عليه لا على وثيقة نجاة» (البطاينة،2004). [18]

وما رفض منى لتسليم جسدها لمحروس سوى رفض لواقع مشوه، حاول أن ينتهك جسدها متخذا من الزّواج ذريعة، حسب الكاتبة/ البطلة، ليلجأ إلى العنف والضّرب عملا بنصيحة الأب، فمحروس/ الزّوج ما هو إلاّ نسخة عن الأب/ السّلطة الذّكوريّة، فالزّوج متخذا من عقد الزّواج مبررا لانتهاك جسدها وتملكه أمّا الأب/ ذكور العائلة يتخذون من العادات والتّقاليد الاجتماعيّة مبررا لذلك« فمن وجهة نظرها كان الزّوج المترهل القذر يريد اغتصابها، وذلك بأن يمضي بالأسلوب نفسه الذي كان أبوها قد بدأه ومن وجهة نظر الزّوج فهي وليمة ينبغي أن يجري الاستمتاع بها بالعنف، وإخضاعها بالقوة، فتمنّع الأنثى يقتضي جبروب الذّكر» (ابراهيم ، 2011) [19].

تنفصل منى عن محروس بعدما يظهر لها عجزه الجنسي، لتقبل بالزّواج من الشّاب العربي المغترب في اسكتلندا، التي يكبرها سنا، وكان هذا الاقتراح من صديقتها، وبعد تردد تقبل به في النّهايّة، وما هذا إلاّ انبهارا بذلك العربي الذي صور لنا بأنّه الفردوس المفقود الذي ينقذنا من براثن وحش كاسر يبطش بنا، تقول منى« جذبتني السّفر إلى لندن حين تشدني غربتي كنت اتصل بإخلاص وأسألها عن أخبار العريس وحين تهدأ نفسي أرفض الفكرة »(البطاينة، 2004) [20].

انجذبت منى لفكرة السّفر وتغيير المكان الذي مثّل مرحلة جديدة في حياتها، انتقال من المكان الأبوي/ الذّكوري إلى مكان الحريّة، والانفتاح والتّخلص من قيود العبوديّة الشّرقيّة، رغم ما في نفسها من تردد لا تكترث بالمكان» اسكتلندي، انجليزي، أمريكي مش مهم، المهم بعيد » (البطاينة، 2004) . [21]

تصدم منى بزواجها الثّاني من سليمان المهووس بالجنس، ويتبين لها بأنّه «لا يختلف عمّا عرفت من رجال قبيلتها الذين خرّبوا كلّ شيّئ نفيس في أعماقها، فلم تصقله ثقافة الغرب، ولم يتعلم شيئا، وبقي حاملا جرثومة الأنا نفسها فتعاظمت الكراهيّة مجدّدا في داخلها تجاه كل الأشياء المحيطة بها فصارت تحتقر نفسها والعالم الذي تعيش فيه »(البطاينة، 2004) [22].

سليمان رغم وجوده في اسكتلندا ورحيله عن بلاده العربيّة ومجتمعه الشّرقي، إلاّ أنّه بقي محملا بالتّرسبات الشّرقيّة التي نشأ عليها وجدها في مجتمعه الشّرقي، فلا تزال تلك النّظرة الدّونيّة للمرأة التي توصد عليها الأبواب وتجلس منتظرة زوجها مستقبلة أوامره بطاعة واستسلام، حب السّيطرة والتّسلط مخزنان في لا وعيّه الدّاخلي، إذ" يغيب معه الحوار وتنقطع سبل التّفاهم وإسراره على انتهاك أكثر العناصر حيويّة في شخصيّة المرأة وهي الجنس والجسد والفكر والإنتاج والمكانة جعل المرأة تبحث عن أفاق أخرى لتشكيل كيانها والإحساس بوجودها (مهيدات، 2007)[23].

كانت منى تشتكي تصرفات زوجها لجارتها العربيّة في مغتربها ولكنّهن لا يمثلن سوى النّسخة المسلوبة الإرادة من المرأة الشّرقيّة فينصحانها بالصّبر وتقبل الوضع. رسمت منى لزواجها من الشّاب العربي المغترب في اسكتلندا المنفذ الذي سيكون خلاصها ولكنّها تكتشف أيضا أنّه يمثل وجها من أوجه سلطة مجتمعها الشّرقي فهو لا يختلف عن الآخر/الأب/القبيلة/ محروس « في ضوء التّجربتين اللتين مرّت بهما وجدت "منى" نفسها في حالة جهل وعمى وتخبط فلا تعرف ماذا تريد ولا إلى أين تمضي، وتحوم في

رأسها أفكار الانتقام، وتستبد بها مشاعر الكراهيّة إذ حطّم الرّجال حياتها مرتين في وطنها، وفي مغتربها» (ابراهيم ، 2011) [24].

يعود هاجس الكراهيّة ليراود البطلة فتنقل صورة قاتمة لشخصيّة سليمان، الذي أخضعها لسيطرته وفق نرجسيتة الشّرقيّة، ومحاولة حرمانها من حق في الأمومة، وإجهاضها طفلها عنوة وتعسفا دون أن يفتح مجالا للتحاور أو مراعاة لأحاسيسها أو احترام لوجودها « ولعل ديكتاتوريّة الزّوج أحد الأسباب الرّئيسيّة التي دفعت المرأة منى للانفصال عن زوجها/ سليمان واختيار الآخر، لأنّه ببساطة يشاركها إنسانيتها ويعاملها معاملة النّد للنّد في الأدوار الحياتيّة المختلفة بعكس الزّوج فهو سلبي وازدواجي ونرجسي ومهووس بهاجس السّيطرة والتّسلط، مكونه السّيكولوجي جبلة لم يستطع تجاوزها، حتى وإن وجد في فضاءات أخريّة مختلفة » (مهيدات ، 2007) [25].

فتظهر صورة للآخر/العربي/الذّكوري صورة قاتمة سلطويّة، مناهضة للمرأة ترى فيه الكاتبة/منى محطم أمالها وطموحاتها مكبل حريتها، ليغدو الأب/العائلة/الرّجل العربي/الزّوج مقيدا وقامعا للانا /منى/ الأنثى لتلجأ إلى الآخر/الغربي، لذا تقرر هجر زوجها وتهجر معه عالمها الممقوت، عالم شعرت فيه بالدّونيّة والتّهميش، ما هو إلاّ نسخة ثانيّة عن مجتمعها الشّرقي، كانت بدايّة النّور بالأخصائيّة النّفسانيّة التي أوضحت لها مشكلتها وشخّصت حالتّها « إنّك لا تعرفين ماذا تريدين، إذهبي وفكري وحددي أهدافك اعرفي ما يسعدك وما يزعجك وما تطمحين إليه، مشكلتك نابعة من ذاتك » (البطاينة 2004) . [26]

3-التّماهي في الآخر/ الغربي وتشكّل الهويّة الجديدة: قدّمت الكاتبة من خلال شخصيّة منى صورة للمرأة الثّائرة النّاقمة على العادات والتّقاليد السّائدة، تسعى وراء تحقيق أحلامها وتحولها إلى حقيقة» أخرجت ورقة وكتبت فوقها اسمي، أنظر إلى الاسم وكأنني أنظر إلى نفسي...أحلم ولا أسعى إلى تحقيق الحلم وبلورته... أعيش في محيطات الخوف ولا أبحث عن شاطئ ... كل ما كنت أريده لخصته كلمة واحدة حرّة » (البطاينة ، 2004) [27].

هذا ما وجدته في الآخر/ستيوارت مكفيرسون الذي أخذ بيدها لطريق الحريّة بمساعدته لها في مشروعها التّجاري " الأطعمة الشّرق أوسطيّة "، إذ به حقّقت استقلالها المادي « فجّر ستيوارت مكفيرسون في نفس منى طاقة ايجابيّة هائلة، فعرفت أنّها بتحررها الاقتصادي سوف تفكك علاقة التّبعيّة التي تربطها بالآخرين: أبا وأخا وزوجا فراحت تخطّط لمغادرة بيت زوجها، فهما غريبان بعضهما عن بعض لا

يجمعهما إلاّ سقف واحد، ونجحت في عملها، وامتلكت بيتا خاصّا بها، وعاشت بصحبة ابنها آدم وبثقافة الكراهيّة والحقد والرّغبة بالانتقام استبدلت ثقافة الأمل والطّموح والحريّة، وفي عالم جديد ينظّمه القانون وليس الحمايّة الأبويّة، شرعت في اكتشاف نفسها من جديد وراحت تطور إحساسها الذّاتي بأنوثتها »(ابراهيم،2011) [28].

استطاع ستيوارت أن يمنح منى الحب الذي افتقدته مع الرّجال الشّرقيين، تقول «أردت أن يشاركني ستيوارت وأردت أن تكون حياتي خالصّة وحرة، كي تليق ببدايّة خالصّة وحرة، وهذه الرّغبة هي ما يصلني به هي ما حلمت به وبحثت عنه دون أن أعرف ماهيته » (البطاينة ، 2004) [29].

إنّ شعور المرأة/ منى بالانتقاص دفع بها إلى الارتماء في أحضان الآخر/ الغربي إذ بدا في أفق انتظارها مخلصا وباعثا على فكرة الاستقلال، سعت المرأة الشّرقيّة/منى إلى تلك العلاقة لمعرفة تجربة جسديّة مغايرة عن علاقتها بالآخر العربي/ الشّرقي ويبدو الفضاء الغربي مغايرا للفضاء الشّرقي، ولهذا انجذبت المرأة للرجال في فضاء مغاير ترتسم فيه صورة المرأة الشّريكة للرجل وليست المحظيّة » (مهيدات، 20007) .[30]

نظر ستيوارت إلى منى على أنّها كيان منسجم مع نفسه غير مجزأ وإنّما وحدة متكاملة، عقل وجسد في حين أنّ محروس الزّوج الأوّل كان همّه الاستحواذ على جسدها متناسيا ضعف قدراته الجنسيّة، أمّا سليمان الزّوج الثّاني يفكر في لذته غير آبه بأحاسيس زوجته أو استعدّادها النّفسي، منى غير قادرة على الرّفض أو القبول، لأنّ الموقف المفروض عليها لا يحتمل ذلك. (مهيدات، 2007) [31].

اتجهت منى للآخر/ الغربي/ المختلف دينيا لتعيش معه تحت سقف واحد، رغم الخوف والتّردد الذي اعتراها في البدايّة، وبقيت تلك الرّقابة الشّرقيّة قابعة في لا شعورها تقول منى» كنت خائفة، ليس من ستيوارت أو وجودي في شقّته، بل من نفسي ورغبتي في الاقتراب منه، صوت داخلي يذّكرني بأنّي مسلمة وشرقيّة وعربيّة ومتزوجة صوت آخر يؤكّد لي أنّ كلّ هذا لا يمنعني من التّقارب مع ستيوارت. ما بين الصّوتين أجول وأتردد ولا استقر، منطق يقول من حقي وستيوارت أن نقترب ما دمنا نريد ذلك. ومنطق بعيدة جماعة يؤكّد أن لا حق لنا بذلك تسكنني مقولات الجماعة بالرّغم من قدّمها وضبابيتها وعدم اتّساقها »(البطاينة ، 2004) [32].

وبتشجيع من صديقتها كارول تقيم منى علاقة جسديّة حرّة مع ستيوارت خارج مؤسّسة الزّواج، إلاّ أنّ هواجس الخوف والحنين مازالتّ تسكنها، فتقرر العودة لزيارة عائلتها إلاّ أنّها لم تلمس أي تغيير، فتعود إلى لندن أكثر تشاؤما، وما زاد من خوفها وقلقها أكثر زيارة عمها سالم "، الذي أظهر تشدده ورفضه لعلاقتها مع ستيوارت، فهي في نظره لم تخرق الحدود الشّرعيّة، بل تمردت على القبيلة وقوانينها أيضا،« أنا ما بسمحلك تعيشي هيك، لا كرامتي، ولا رجولتي، ولا ديني يسمحولي أنّي أسكت على إللي بتعمليه ... هذه العلاقة غير صحيحة، ولن أقبل بها » (البطاينة ، 2004) [33].

هذا الرّفض ولّد لدى منى هاجس الشّعور بالخوف من عودة السّيطرة الذّكوريّة والخوف على علاقتها بستيوارت تقول منى» خاف على نفسي وآدم وستيوارت وطفلنا... رجعت القبيلة لتفتح بوق الموت ولتبعثر فينا العفن والجفاف، ستصل سيوفهم إلينا حتى وإن اختبأنا تحت المحيطات» (البطاينة، 2004)[34].

خرقت منى التّابو الدّيني الذي كانت قد لجأت إليه من قبل في غربتها وسط عائلتها معلنة أنّها لا تنتمي إلى أي شريعة، علاقتها بستيوارت تتخطى حدود الدّين والأعراف الاجتماعيّة، ورفضت دخوله للإسلام

م« السّت زوجي، نحن معا، عقد الثّقة والحب والوفاء الذي نوقعه معا كل يوم أقدس عندي العقود القانونيّة والشّرعيّة» (البطاينة 2004) [35].

بالغت الكاتبة/منى فرسم تلك الصّورة المثاليّة للآخر، وكأنّ المجتمع الغربي وخاصّة المرأة الغربيّة لا تعاني أيّة مشاكل في مجتمعها، وهذا ليس بالأمر الصّحيح، كما أنّ خرق منى التّابو الدّيني فيه تهجم على الإسلام وجعله مضطهدا للمرأة وحقوقها.

يتواصل تصوير الكاتبة لسيناريو التّهديد الذي تتعرض له منى من قبل القبيلة/السّلطة الذّكوريّة، من قبل عمّها عامر الذي ليحلقها في مغتربها محاولا الانتقام بحجّة الدّفاع عن الشّرف، والتّهديد ذاته يتعرض له ستيوارت، وإن كان تهديدا غير مباشر، إثر إطّلاعه على خبر في الجريدة عن جريمة شرف قتل شاب مسلم أخته وزوجها وطفلها لأنّها تزوجت في الملاجئ لسنوات من شاب مسيحي يقرّر الاختفاء، لأنّه وجد أنّ الاختلاف الدّيني يشكّل عائقا في علاقتهما معا. وما هذا الخوف في حقيقة أمره إلاّ نتيجة لتلك الصّورة المشوّهة التي ارتسمت عن الإسلام في ذهن الآخر/ الغربي، بأنّه يمثل العنف والقتل.

لم يجرد الآخر/ الغربي البطلة من الدّين بل جردها من شكلها واسمها العربيين أضحت **سارا الكزاندر**/ منى بملامح غربيّة وانتماء غربي، وما هويتها الجديدة إلاّ صورة عن الغرب بحريته وانعتاقها «استطيع الآن أن استبدل اسمي، وألغي علاقتي بنسبي وأطمئن (...) ولن يستطيع المجرمون يوما التّوصل إلي»(البطاينة ، 2004) . [36]

استطاعت عمليات التّجميل أن تخلص منى من ماضيها بدءا من والدّها/ قبيلتها ثم تاريخها، فقد خلصت منى نفسها من تلك البنى الفكريّة والحضاريّة والثّقافيّة مقابل اعترافها بالآخر/الغربي/المسيحي فظهورها بملامح غربيّة مغايرة لتلك الملامح العربيّة؛ «كنت ابنة قبيلتي وكان اسمي ووجهي امتدادا لما فرض علي، الآن صرت ما اخترت واحمل الاسم الذي أرتضيه والوجه الذي صممته لذاتي والجسد الذي شئت لأناي، وحده صوتي القديم بقي كما كان وسيبقى ليدافع عن حقي في الحياة كما أشاء، لم أعد ابنة الصّدفة والقدر» (البطاينة ، 2004) . [37].

ولكن هل هذا التّنكر والقناع الذي ارتدته منى/ سارا الكزاندر وتوليّها تلك المهمّة الإصلاحيّة يجدي نفعا في وسط مجتمع شرقي خصوصا أنّه لا يعترف بأفكار الغرب/الآخر ولا يحتفي بها؟، وهل التّنكر هو حقا الحل الأمثل لتعبّر البطلة/الكاتبة عن آرائها؟ ولكنّ وحسب رأي هذا الحل لن يقنع القارئ لانّه يبتعدّ عن التّفكير الواقعي.

خاتمة: صفوة القول: عملت الكاتبة عفاف البطاينة في روايتها خارج الجسد على نقد السّلطة الذّكوريّة/ الشّرقيّة، والشّك ومراجعة ترسباتها التي تشكلت عن قصد أو عن غير قصد في المجتمع الشّرقي، والتي تختزل مكانة المرأة وتعلي من مكانة الرّجل وتبين لنا أنّ صورة الآخر ليست هي الآخر ذاته، إنّما هي تلك الصّورة المرتسمة في مخيلة الذّات وتحاول التّعبير عنها انطلاقا من رؤيّة خاصّة طبقا لظروف وسياقات خاصّة. فتعدّدت صور الآخر؛ إذ يظهر الآخر في صورة الأب أو الزّوج الذي مثل الطّرف الدّيكتاتوري الذي يمارس سلطته ضد الأنثى ويحجب صوتها، كما مثّل الآخر الرّجل/الأوربي/ المتحرر/ المختلف في أبعاده الثّقافيّة والحضاريّة فضلا عن كونه ممثلا للديمقراطيّة والإغراء.

أرادت الكاتبة من خلال صوت منى أن تعلن نقدها ومراجعتها لتلك الثّقافة الأبويّة/الذّكوريّة، وأنّ المرأة الشّرقيّة يجب أن لا تبقى دميّة بيد أسرتها/سلطة الأب/الزّوج، تحركها كيفما شاءت باسم العرف والتّقاليد. كما تجاوزت تابو الدّين والعادات والتّقاليد، بين إيديولوجيا الذّكورة التي تسعى للهيمنة والسّيطرة على المرأة

ورغبة الذّات/المرأة في التّحرر واستعادة ذاتيتها، حاولت الكاتبة فضح تلك الهيمنة وتقويضها مستعينة بالآخر/ الغربي، الذي جرّدها من هويتها وانتمائها العربي، ظنا منها أنّه الحل الأمثل الذي من خلالها أن تنفذ مهمتها الرّسوليّة الإصلاحيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المراجع:

الكتب:

1 – أبو سكين عبد الحميد محمد: المعاجم العربية مدارسها مناهجها، الفاروق الشرقية للطباعة والنشر القاهرة، ط2، 1989.

2– الخطيب عدنان: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1994 .

3– ضيف شوقي: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما1934، 1984، القاهرة، ط:،1 1984 .

4– سالم حمود: من المعجم العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1966.

5– سقالة ديزيرة: نشأة المعاجم العربية و تطورها، دار الصداقة العربية، بيروت، ط :1، 1995.

6– القاسمي علي: علم اللغة وصناعة المعجم، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 2004.

7– نصار حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، ج2، دت.

المعاجم:

1– مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، دار الدعوة، دت.

المقالات:

1– الحمزاوي محمد رشاد: المعجم العربي المعاصر في نظر المعجمية الحديثة، مقال ضمن مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 78 ، ج4، دت.

2– مطر عبد العزيز: المعجم الوسيط بين المحافظة والتجديد، مجلة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة، ع69، نوفمبر 1992

الرسائل:

1– تاوريريت حسام الدين: **استخدام الشواهد بين "المعجم الوسيط"** و **"Merriam Webster Dictionary" دراسة مقارنة** ،(أطروحة مقدمة لنّيل شهادة الدكتوراه علوم فّي اللغة والأدب العربي) ، كلية الآداب واللغات ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2016و2017

الهوامش:

<u>قائمة المصادر والمراجع:</u>

أوّلا – الكتب:

1–ابراهيم الحيدري، النّظام الأبوي وإشكاليّة الجنس عند العرب، بيروت، لبنان، دار السّاقي، ط1 ،2003.

2–عبد الله ابراهيم، السّرد النّسوي، الثّقافة الأبويّة، الهويّة الأنثويّة، والجسد، بيروت لبنان، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر 2011.

3–عبد الله إبراهيم، موسوعة السّرد العربي، ج2، بيروت، لبنان، المؤسّسة العربيّة للتوزيع والنّشر طبعة موسعة، 2008.

4–عفاف البطاينة، خارج الجسد، بيروت، لبنان، دار السّاقي، ط1، 2004

5–نهال مهيدات، سرد الآخر في الرّوايّة النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة، إربد الأردن، دار الكتب الحديث، للنشر والتّوزيع ط1، 2007.

6–هشام شرابي: النّظام الأبوي وإشكاليّة تخلف المجتمع العربي، ترجمة محمود شريح بيروت، لبنان مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1993.

ثانيا –المقالات:

1–عبد الله ابراهيم: سرد النّساء وسرد الرّجال، مجلّة علامات، النّادي الأدبي الثّقافي بجدة، العدد 34 1988،

2–محمّد بوعزة: تمثلات الهويّة النّسويّة في روايّة "دنيا " لعلويّة صبح، مجلّة تبيّن للدراسات الفكريّة والثّقافيّة، العدد 20، المجلد 05، ربيع 2017

هوامش البحث:

1 –عبد الله إبراهيم، موسوعة السّرد العربي، ج2، بيروت، لبنان، المؤسّسة العربيّة للتوزيع والنّشر، طبعة موسعة، 2008، ص 117.

2–نهال مهيدات، سرد الآخر في الرّوايّة النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة، بيروت لبنان: دار الكتب الحديث، للنشر والتّوزيع، ط1، 2007، ص1.

3 –محمّد بوعزة، تمثلات الهويّة النّسويّة في روايّة "دنيا " لعلويّة صبح، مجلّة تبيّن للدراسات الفكريّة والثّقافيّة، المجلد 05، العدد 20، ربيع 2017، ص 31.

4 –عبد الله إبراهيم: موسوعة السّرد العربي ج2، ص186 .

5 –المرجع نفسه، ص:147.

6–إبراهيم الحيدري، النّظام الأبوي وإشكاليّة الجنس عند العرب، بيروت، لبنان: دار السّاقي، ط1 2003، ص 15.

7–عبد الله إبراهيم، موسوعة السّرد العربي، ج2، ص203 .

8-عفاف البطاينة، خارج الجسد، بيروت، لبنان: دار السّاقي، ط1، 2004، ص 45.

9-المصدر نفسه، ص 61.

10-المرجع نفسه، ص 203.

11 -هشام شرابي، النّظام الأبوي وإشكاليّة تخلف المجتمع العربي، ترجمة محمود شريح، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط1، 1993، ص 24.

12-المرجع نفسه، ص 16.

13-محمّد بوعزة، تمثلات الهويّة النّسويّة في روايّة "دنيا " لعلويّة صبح، ص 44.

14-عفاف البطاينة، خارج الجسد، ص 74.

15-المصدر نفسه، ص 45.

16-عبد الله إبراهيم، سرد النّساء وسرد الرّجال، مجلّة علامات، النّادي الأدبي الثّقافي بجدة، العدد 34 ،1988، ص 51.

17-عفاف البطاينة، خارج الجسد، ص 86.

18-المصدر نفسه، ص 116.

19-عبد الله ابراهيم، السّرد النّسوي، الثّقافة الأبويّة، الهويّة الأنثويّة، والجسد، بيروت لبنان: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط1، 2011، ص 165.

20-عفاف البطاينة: خارج الجسد، ص 223.

21-المصدر نفسه: ص 224.

22-المصدر نفسه: ص 224.

23-ينطر نهال مهيدات، سرد الآخر في الرّوايّة النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة، ص 2.

24-عبد الله إبراهيم، السّرد النّسوي، الثّقافة الأبويّة، الهويّة الانثويّة، والجسد، ص 167 .

25-نهال مهيدات، سرد الآخر في الرّوايّة النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة ص 27.

26-عفاف البطاينة، خارج الجسد، ص 276.

27-المصدر نفسه، ص ص 273،274.

28-عبد الله إبراهيم، السّرد النّسوي، الثّقافة الأبويّة، الهويّة الانثويّة، والجسد، ص 168، 169.

29-المصدر السّابق، ص 317.

30-نهال مهيدات، سرد الآخر في الرّوايّة النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة ص 54.

31-المرجع نفسه، ص 87.

32-عفاف البطاينة، خارج الجسد، ص 308.

33-المصدر نفسه، ص 424.

34-المصدر نفسه، ص 431

35-المصدر نفسه، ص 441.

36-البطاينة، خارج الجسد، ص 438.

37-المصدر السّابق، الصّفحة نفسها.